


قصة

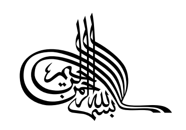
الكنز المفقود

المهتدي البغدادي




{ بسم الله نبدأ }

* وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين *



(وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٥ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ۝٥٨ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ۝٥٩ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ۝٦٠) الذاريات

صدق الله العظيم

(من اجل ماذا ؟)

خلق الإنسان من اجل أن ياكل ويشرب , أم من اجل أن يدرس ام من اجل يلعب ويمرح , أم من اجل أن يركب السيارات او يصعد بالطائرات ليسافر البلدان , ام من اجل أن يذهب الى المولات او من اجل المتنزهات او المسابح والاسواق ليشتري البضاعات , ام من اجل أن يعيش سنين على هذه الامور لايتغير من حال الى حال ؟ كلا ليس من اجل كل هذا ولو كذب قولنا الممالك , انما من اجل العبادة التي هي دار المسلم وجنة المومن , ولكن مافي الامر أن الناس قدموا كل ماذكرناه وما نسيناه , على العبادات بحجة تقدم الزمان وازدهار البلاد , فتقدموا بكل شيء إلا الدين ثم عند المنية الى الوراء رجعوا صفر اليدين !

***

(ما هو الهدم والبناء)

لا يخفى على أحد أننا دائما نسمع المقولة التي رنت بآذاننا هي انه البلاد تدمر ، وأين كنا وأين صرنا وما هذا الذي ردنا , وان القائلين هذا يظنون بان البلاد يدمر اذ ذهب اعماره وشرد أهله , والواقع غير ذلك فالمدن لا يدمرها حجر جاء وذهب بل يحطمها عواصف النفاق من سب الله ﷻ وتحريف الدين , والفساد من نشر الفواحش والتعامل بالربا والرهان ولعب القمار , والكاسيات العاريات المتبرجات في البلاد فهولاء وأشياعهم هم الذين بهم البلاد دمر ولو عمرت كل أجدارها أحسن ما يسحر العيون , وأما الذين يتقون الله ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في كل خير, فبهم البلاد عمر ولو كان بيوتهم من طين .

أيها الضيف أن البحار يملئها ماء عذب , وأن إلارض كانت كذلك
فجاء الناس لها فمرح الكثير فيها وعمل القليل بها فتحول امرها الى
ملح اجاج بعد أن سودها اهل المعاصي والفساد وهم يبنون حياتهم
بما هم يريدون , فكن ممن سار بالمستقيم ولو وحيد الطريق , فليس
كل من ركب السفن بالليالي الظلام كان ناجيا عند الصباح ,
وليس كل من خاض أمواج البحار في الليل والنهار كان هالكا لا
محال , فالاول عرفوا الدين وطلبوا الدنيا و لم يسعوا غيرها فهلكوا
بها بالسيئات رغم ما يملكون من وسائل نجاة , والاخرين عرفوا
الدين فعملوا من اجله فجاءت الدنيا لهم تسعى وعلموا جيدا أن
الخروج من المصاعب بالحسنات فبها نجوا رغم المخاطر والصعاب .

ايها الضيف تذكر أن لكل بيت له غرف , ويتراوح اعدادها فقد تدخل بها ولا تنجوا منها , فاخرج كما كنت قد دخلت بعقلك وحكمتك ولو كنت وحيدا غريبا ولا تكن كما يكون اكثر الناس , فهم قد اتخذوا البيت الحطام قرارهم يبنون به احلامهم ويعمرون به قلوبهم التي لاتعرف الاعمار , فلا تكن من الذين احلامهم سدى وقلوبهم للدنيا عامرة وللدين هاجره , ولا يغرك المناظر ولو جاؤوا باحسن المظاهر وعمروا الشوارع , ولا تكن من الذين رأيتهم في الدنيا ازدهروا ثم بعد ذلك لم يكونوا وفي القبور هدموا ,

***

(ما هو الكنز)

أيها الضيف أن الناس كثيرا منهم الان يسارعون في الدنيا على أن يجدوا كترهم الدفين , فكن ذكيا بين الصحاري وأبحث عن الرمال وأخرج الكتر العظيم الذي غاب عن الملايين وأحتفظ به ولاتبالي بما أخرجوا وأشكر نعمتك التي لو قدرت بثمن لما ثمنت وأترك أولئك يحفرون ويحفرون الى أن يسقطون , فالارض التي يحفرها بدون تفكير لابد أن يقع بها ولو بعد سنين لانه لم يحسن التدبير , فالكتر الذي لا يكتر صاحبه ما فائدته ولو جمل بعينه وانتفع به سنين , ونحن نرى الكثير يسارعون من اجل المال لملء الجيوب مسارعة الذئاب واما في الدين فالوقت الى الان لم يكن قد حان , وكتر المال بلا دين كالكوب بلا ماء لا ينتفع العطشان ولا يحيا الإنسان ,

أيها الضيف أن الحياة ليس بالمضي خلف أكثر الناس ولا فعل ما يفعلون , فقد يكون ممن حولك من الجار بيوتهم أحسن الاعمار وحيطانهم بالمظاهر ساحره ولكن ضاق بهم رغم كبر الدار, ثم فتحوا أعينهم يوما فوجدوا ما جدوا به عليهم ساقطا و لم يجدوا أين الفرار , فكيف كان الحال ؟ , وانت بيتك خير البيوت رغم صغره وبيتك خير ما عمر رغم هو قليل الاعمار وبيتك عرف النُّورَ حين عرفت الاسلام وذقت حلاوة الايمان وأولئك لم يعرفوا من الدنيا غير حطامها فهم بين بالشهوات والملذات فذاقوا مرها وعاقبة أمرها وكانت بيوتهم مظلمة رغم هي مليئة بالاضوية , فلا تكن ممن أضاء الدور ونسي النور

أيها الضيف تذكر أن الكتر الذي لا كتر بعده قد يطول البحث عليه سنين فلا تكن من الذي يملون فيعودوا بدونه مسرعين , فمن حفر قليلا ورأى غيره يكترون فاغترا بهم ثم عاد وكان مثلهم كثر حزنا وزاد خيبة , فلا تعتقد أنك أن ركضت مع الناس ستكون يوما عزيز النفس ولا عزيز عندهم بل ذليل الأمرين , فكن جاهدا بالعمل وأحفر بجد ولو طال بك العمر وكن طويل الامل , فالكتر لابد أن تجده , حينها لاتعرف الخيبة وترى العزة بين هولاء الكثره الأذلاء الخائبين رغم كثرة الاموال لديهم والبنين , فتكن بينهم كالملك الذي لا احد يدري عنه ولا يمكر به , وكل هذا الفضل من رب العالمين , فما هو هذا الكتر الذي تذوب به القلوب محبة وتلتفت اليه العقول فلا تريد غيره ؟ ويذوقه اللسان بطعما لم يذوق قبله من النعيم

ودائما يعيب اهل الدنيا على المتدينين قائلين بان هولاء حبسوا أنفسهم بالدين فاصبحوا محرومين عن المللذات فكانت حياتهم بلا حياة!! لهذا علينا أن نتكلم عن حال الفريقين لنعرف من هو المحروم ومنو هو حيا و ميتا بالحياة ,

فالاول من أولئك الذين كتروا الدنيا لسنين من طفولتهم الى الستين والسبعين وكانوا يظنون بان مستقبلهم مضمون ولا منه يخافون رغم أن طول عمرهم الذي مروا به كان الاكتئاب صديقهم , والحزن والخوف حبيبهم لا يريد أن يفارقهم , والسعادة لا يروها إلا للحظات ثم تنقلب عليهم مشقات , وهذا كله لم ياتي من فراغ انما حين ملئوا قلوبهم بالنفاق وشبعت أنفسهم من الحرام وعدم المبالاة بالدين (بحجة لماذا نطبق الدين ونحرم أنفسنا لنعيش كما نريد) فكانوا حبساء لا يعرفون ما الدنيا وما الدار بعدما كانوا يعيبون على الجار .

وصدق ما قلناه أن هولاء نراهم كما غيرنا رأهم , وهم منذ الصغر حياتهم كالسقف بلا حجر ليس لهم أساس يثبت أمرهم ويهدي بالهم ويطمئن قلبهم ويريح أنفسهم, فهم بين الليل والنهار تراهم من الدار الى المتزهات او الاسواق او المدارس او الطرقات هاربين من الواقع ذاهبين الى المواقع يبحثون بلا جدوة والسنتهم بين غيبة ونميمة وبين كذب ونفاق يحاولون جاهدين على أن تهدء أنفسهم ويسعدون ولكن بلا جدوة , وفر رجالهم الى المقاهي والالعاب وغيرهم الى الحرام وفتياتهم جربوا التبرج فلم يجدي وجربوا العلاقات فلم تنفع وأخر أمالهم هو الطعام والشراب اللذيذ بين المطعام والافران على امل الاستقرار وراحة بال , وجربوا كل شيء مباح كان أم حرام فلم يعرفوا أين قلوبهم تؤنس وعقولهم ترتاح من التعب والضياع والهم والتفكير وما هو هموم

قال ابن القيم رحمه الله على أثار المعاصي : (قلة التوفيق ، وفساد الرأي ، وخفاء الحق ، وفساد القلب ، وخمول الذكر ، وإضاعة الوقت ، ونفرة الخلق ، والوحشة بين العبد وربه ، ومنع إجابة الدعاء ، وقسوة القلب ، ومحق البركة في الرزق والعمر ، وحرمان العلم ، ولباس الذل ، وإهانة العدو ، وضيق الصدر والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ، ويضيعون الوقت ، وطول الهم والغم ، وضنك المعيشة ، وكسف البال . تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله ، كما يتولد الزرع عن الماء والإحراق عن النار .وأضداد هذه تتولد عن الطاعة) كتاب الفوائد لابن القيم

فهذا الكتر حين هاجر الدور أصبحت بلا نور , وهولاء نفسهم يتحدثون وهم يحتاجون الى من يحدثهم وينصحون والأولى أن ينصحوا أنفسهم , فتراهم يقولون دائما بان الدراسة هي مستقبل الإنسان ومصيره بالحياة ونسوا بان أنفسهم محتاجين لدراسة الدين ليخرجوا من هذا الضياع المبين , وينصحون أبناءهم بها وإذا رأوهم مشغولين بامور أخرى قال الاهل الى الأولاد متى ستتفرغون لدراستكم وتتركون لعبكم ونسوا بان هم من يحتاج احد أن يذكرهم أيضا بانه متى ستذكرون الله وانتم حياتكم منذ الصغر الى الكبر مشغولين في أمور الدار والابناء وياتي لكم الموت وانتم قلوبكم لاهية أحببتم الدنيا وتركتم جنتها إلا وهي محبة ربها ؟!

والصنف الثاني من الناس وهم اقلية كان لهم كتر واحد يعادل ما ملك الناس وما عندهم , فهو جنة بالدنيا قبل الاخرة وراحة ليس لها مثيل ولو عدد الملأ الأمثال وجاؤوا بكل الكنوز من البيوت لصغروا امامه وقل مقدارهم بعين أصحابهم , وكيف لا ومن ذاق حلاوة الايمان تراه بالمترل سعيد ولو خرج منه الى مكان بعيد كان خير السعداء ولو ذهب بسيارة الى المباحات من الاسواق والمتنزهات لوجد نفسه ملك غني النفس قنوع ولو بقلة المال بين أولئك الفقراء الذي لم يعرفوا الغنى إلا بالمال فضلوا ضياع بين هذا وذاك , وما ناله أولئك من عظيم الأمر في دنية سوداء يملئها الحطام إلا لانهم كانوا على دوام مع الله فأصبح ذكرهم لله دواء وشفاء وراحة واطمئنان في كل مكان وهذا شيئا عظيم لا يناله إلا من أسلم وجه للرحمن الرحيم

والاول من القوم دائما نسمعهم يقولون أن تعبت اليوم ستلعب بكرة او ان حزنت أمس ستفرح غدأ ويخدعون أبنائهم بالدنيا وحطامها ولا يريدون أن يعودوا الى واقع حياتهم او يصارحون أنفسهم واهليهم بان هم في دار اختبار وليس دار قرار ولكنهم يصرون ثم بالموت يصدمون وكانوا يظنون بان هم يبنوا مستقبلهم الابدي بالحياة والواقع بانهم يدورون بنفس المكان كالضائعين بالغابة يفرون يمين ويسار ويعودون الى الوراء , الى أن ينتهي أمرهم ويغلق بابهم

وهولاء لا في البيت يسبحون ولا في طرقاتهم ذاكرين ولا في المتنزهات والاسواق من المستغفرين ولا في المدارس والجامعات ولا في المطاعم يتذكرون ولا حتى في فراغهم !!

وأصبح ذكرهم لله تعالى فقط في الحلف بينهم عند المشاجرة او في أمر ما ! بينما أمورهم الدنيوية المهمة لا ينسوها على الدوم , والمهم بالامر أن هولاء اوقاهم من الطفولة الى الشيب في هذه الاماكن فمتى سيكونوا من الذاكرين ؟ وهم في كل وقت وحين غافلين , وهم كثير في بلادنا العربية خاصة في العراق , وكل همهم هو أن يكون لهم بيت ووظيفة , وجسور وشوارع , وما هو من حدائق وزروع فهذا كترهم في دنياهم ونسوا بان قبلهم من القرون كانوا في القصور ثم ناموا في القبور فلم ينفعهم بيت جميل ولا قصر مشيد , وظنوا أن الاعمار طويلة فلا خوف عليهم ونسوا بان قوم نوح عاشو اكثر منهم لمئات السنين ثم ماذا ؟ بلمح البصر كانوا من الغارقين , فاين تلك السنين ؟!

فكم ممن كانوا تجار وأخرين أصحاب أملاك ملكوا الدنيا ملك كبيرا و لم يملكوا بيت في الاخرة و لم يكن يخطر على بالهم هذا الامر , وكم في الدنيا من مهندس وطبيب وفي الاخرة كانوا من اهل النار (ونحن نضرب الأمثال والعلم عند الله ﷻ) وكم من مثقف عند الناس وجاهل بالدين وليس لديه كنزا ينجيه , فليس المهم أن تكنز للدنيا وماذا كنت بها الان كما يظن أكثر الناس , أنما الاهم أين تكون بعد الان وهل أنت من اهل الجنة أم اهل النار .

ومن ذكر الله دوما منذ بدأ العمر كان أميرا منذ الصغر ومن كان من الذاكرين المداومين في عمر العشرين كان سيدأ على الشباب من هم باعماره غافلين ومن كان ذاكرا لله العظيم في الأربعين والخمسين فهو كنز أفضل ما يجده الإنسان وهو مقبل على الممات ,

والذكر كالماء الذي يبرد الشيء , ومن المعروف بان الإنسان يمر بظروف يزداد بها غضبا وهذا الشيء غير حميد لان الغضب أغلب الاحيان يودي بصاحبه الى الدمار وسوء التصرفات , ومن الامثلة حينما يحاولوا أن يستفزوه ليخرجوا أسراره أمن يحاول أن يغضبه ليتشاجر معه ,

ومنها من يسيتقظ عصراً يجد نفسه غاضبة بلا سبب , والغضب كالنار لا ينطفئ إلا بالاذكار ولا يهدى الإنسان إلا به ,

والناس دائما عندما يغضب عندهم أحد يقولوا له أشرب الماء لتهدى (وهذا هدوء موقتا) ونسوا أن يقولوا له أذكر الله لتهدى وتيسر الأمور (وتهدى نفسه دأئما مادام مع الذكر)

والكثير قد يعانون من صعوبة نطق الذكر وهذا شيء طبيعي ولا يحمد عقباه لانهم اشتغلوا بذكر الدنيا وألسنتهم تعودت عليها فابتعدوا عن الله تعالى , فمن الموكد أن ذكره صعبا عليهم لان التوفيق بيده والايمان وحلاوته يهبه لمن أراد . فسبحانه من **ملك** عظيم

***

(الغفلة حطب والموعظة ماء)

والغفلة ظاهرها كنز وباطنها نار , والناس أحبوها منذ الصغر الى الكبر وهي عليهم وبال , فركنوا الى الدنيا وهي حطام وتركوا الاخرة وهي الحياة , ولانها الغفلة , والملا الكثير يرون غيرهم يموتون بزلازل , ويوميا بحوادث سير وما أكثر الامراض في الناس وأعداد الاموات في اليوم الكثر , وهم يسمعون بأخبارهم ويرون بين حين وأخرى صور القبور التي هم من زائريها ولو طول الزمان , ورغم ذلك قلوبهم مرضه لاتغفل عن الدنيا للحظات وأما عن الدين فلسنين وكانما المواعظ أصابها القحط في البلاد وقل ماءها ولا يكاد أحد يراها إلا العيون المبصرة والقلوب اليقظه ,

والموعظة لا لون بها إلا البياض ولا طعمها إلا الحياة ولا باطنها إلا النجاة , ولكن أين طالبيها وهم القلة وأين تاركيها وهم الكثرة

فكم جميل ممن رأى أهل القرون الماضية فاتعظ منهم , وكم أجمل له ممن سلك طريق الرشاد و رأى غيره مشى الى الغيء فأنتهى به المطاف الى حيث الهلاك , وهل شيء أجمل من أن يذكر الإنسان ربه قائما وقاعدا ونائما على الفراش , وماشيا بالطرقات وذاكرا بالسيارات , ومسبحا لله تعالى , بالاسواق والمحلات , ويرى الواعظ غيره غافلا في بيته ونائما بلا أذكار وعند الصباح يكن كما كان ولا كانما في الماضي غفل ,

(ما هو الزرع)

غالبية الناس يحبون أن يكون بيتهم ملجأ للزرع , فيكون أنسهم وعيونهم تسعد به , ويمضون به وقت كثير في رش الماء صبح ومساء ويصرفون من المال ما يصرفون , حتى يكون زرعا طيب الهواء وحسن الجمال ,وهذا شيء ليس فيه أي أشكال , ولكن هولاء وما هم من أمثالهم رأيناهم في العراق يسعون لذلك , ولكن لا يزرعون في أجسادهم الماء العذب الفرات من الحسنات ليخرج لهم الحصاد , بل يزرعون بذلك الملح الاجاج من المنكرات ولا يبالون باجسادهم التي فسد زرعها وأسودا قلبها ، ويهتموا بما زرعوا من نخيل وأشجار وحدائق في البيوت !! فترى بيوتهم برائحة النفاق و تخرج منه الكاسيات العاريات , وأشباه الرجال , وما شابه من الموبقات، وليس عندهم الأمر بالمعروف والمنكر هو منهم !

وأيديهم فيها القوة لفعل كل ما هو منكر وما يحتاج البيت من زروع , , إلا الدين فاجسادهم متعبة ليس لها وقت للطاعات فهي مريضة تحتاج الى الراحة والشفاء لتستعيد البناء (هذا أن عادت أصلا فهم لا يريدون الدواء لها , ولكن لو تأذت أجسادهم بمرض ما لرأيتهم يركضون مسرعين الى الدكاترة لاحضار الدواء)

وهولاء نفسهم عندما يعترض عليهم أحد على كثرة الزرع ورش الماء لقالوا غاضبين على أنه النظافة شيء جميل , نعم وهو ذلك ولكن ماذا عن قلوبهم السودأ بالمعاصي , وما فائدة النظافة التي هي في الظاهر فقط بالبيت الخراب؟!

وكان احد الناس حينما يسير في شوارع بغداد ويدخل احد مناطق الأغنياء مثل المنصور التي هي الغنية المال بالعاصمة والحارثية وما يسمى الكرادة وزيونة , وشوارعها وما فيها من فتن , وتراها مليئة بالزرع الغلاب والمناظر التي تسحر الأذهان والمطعام والاسواق الغالية الأثمان , وترى كثيرا من أهلها يظنون هم على خير وصواب بعدما كانت لهم تلك البيوت الفارهة وما لهم من بنين وأموال , ولكن ماذا بعد الان , تراهم كثير منهم أخرجوا من بيوهم زرعا فاسدا مليئا بالتبذير وسب الدين والكاسيات العاريات والتكبر والمشي بغرور على الأرض وأستحقار الأخرين وفعلوا ما كان يفعله قبلهم من المترفين السابقين والكلام ليس فقط لهم بل لغيرهم ممن أقتدوا بهم فكان اذ مرا من احد الأماكن يتذكر هذه الاية

قال تعالى: (فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾)

تفسير ابن كثير : أيظن هؤلاء المغرورون أن ما نعطيهم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا؟! كلا ليس الأمر كما يزعمون ، لقد أخطئوا في ذلك وخاب رجاؤهم ، بل إنما نفعل بهم ذلك استدراجا وإنظارا وإملاء .

والمسلم دائما عليه أن يتعظ من غفلة أولئك الذين زرعوا بيوقم أحسن الزرعات ونسوا قلوبهم عرضة للنفاق والشبهات , فنحن في زمن الغفلة فعلى الواعظ الأسراع في زراعة الحسنات بالأنفس ورمي السيئات قبل زراعة البيوت (لانها أن طال الزمان بها او قصر) فهي راحلة الى السراب اما نحن ذاهبين الى الحساب لنيل الحصاد , فكيف نترك الاهم ونسارع بما هو ليس مهم ,

وكم من الجميل حينما نرى الفلاح في مواسمه يمشي ويسقي الأرض بالماء ليجد ما هو له حصاد كذلك نحن علينا أن نقتدي به لنكون من الفلاحين المثابرين ونسير في الأرض وكل شبر نسقي أنفسنا بذكر الله , فاي أعظم من هذا الحصاد وأي عزاء لاولئك الغافلين الذين سقوا بيوقم وهي من الطين ونسوا الدين

(كيف نجد هذا الكنز ؟)

لا شك اننا في زمن صعب الحفر والأيجاد , بعد أن كثر الفساد وأنتشرت جرثومة النفاق في قلوب الكثير فجعلهم أعمياء لا يرون الأيمان إلا بعد الجد الطويل , وهم جهدوا كل قوهم الى الدنيا فكيف يجدون الدين !! وهم طول وقتهم من القعود الى النوم مشغولين ! وكيف يكونوا عابدين وهم عن الذكر غافلين

والكنز كالباب الذي خلفه بيبان فأن صدق الإنسان في البحث عن المفتاح فتحت له وحدة تلوا الأخرى , كذلك حلاوة الأيمان من صدق مع الله تعالى باتباع كتابه الحكيم وسنة خير المرسلين , وثابر على المسير و لم يستسلم لطول الطريق فتحت له أبواب الخير ودخل جنة الدنيا ونال خيرها فكيف بمن بعدها من نعيم , فطوبى لمن وجد الكنز الثمين

ونحن بدورنا نحث حتى الفاقد يجد البحث , فالمسلم عليه أن لا يخطوا اي خطوة إلا بعد التاكد منها , فالقلوب سريعة الميلان تاخذ من هذا وذاك , فيجب التريث في تصديق الأمور فليس كل كلام قاله الملأ على الهواء كان صدقا, فاذا الشخص أراد حلاوة الايمان عليه أن يحقق شروط الاسلام وأن يبتعد عن النفاق , وعليه أن يراقب نفسه في كل شبرا يمشي به , هل أن ذاهب لارضاء الله ام لاجل غضبه , ام هل أنا اسير على المستقيم , أم هل ما سوف أفعله حلال أم حرام , فمن حسن أسلامه ورأقب نفسه في الخفاء والعلن وحاسبها كان من أهل العباد المخلصين لله , فلا شك أنه يجد مفتاح الدنيا وكنزها , أما من لم يرد إلا الدنيا وكنوزها فالباب هنا مغلق , ولو جاء بكل مفاتيحها .

ومن ذهب ليجد البئر ليشرب منه خيرا ممن بقي عطشا بمكان
فمات بلا عمل, ومن حفر حفرة ورمى به كتزه ليوم فقير خير ممن
حفر حفرة سدى وكتز بها من لا كتز لها , ونحن نرى في هذا
الزمان كثيرا من الناس يقولون لغيرهم تحفيزا لهم أن من جد وجد
وأن لا شيء يحصل بلا تعب , ولكن عندما ياتي طاري الدين
أمامهم يقولون بان معرفة الدين صعب المنال ويهربون كعادتهم ؟!
وماذا عن الكنوز التي سعيتم لها , لماذا سهلتموها للسامعين وسرتم
لها! وهذه صعبتموها وهجرتم طريقها . أمام أعين الناظرين

***

(الشهوات)

وأن الشهوات المحرمة كالبيت الذي في وسط الغابة يملئها وفيها ما
فيها من دغاليز من دخلها صباحا أغرته حتى نسي نفسه وأين هو ,
حينها يكون فيها أسير , كلما مشى بغرفة مظلمة دخل بالأخرى
وعندما يريد الفرار منها رأى من نوافذ المنزل أن الليل حضر فلا
خروج بسهولة لان الوضع خطر حينها يكون حائرا لا يعرف
الفرار وما هي الدار , فكيف كان الحال بمن ضحك عليه الشياطين
وأدخلوه في هذا المأزق الكبير ,

وأن الشهوات الحرام

من كان من الصابرين عليها ذاق حلاوة معجلة قبلها لم يكن يعرفها ولا يسمع عنها , وأزداد شوقا لها بالحلال , ونال من الثواب ثوابا ما لم يكن من الحسبان ولا يخطر على بال , فكيف بعدها بجنة فيها الحواري الحسان خالقها الرحمن , وما فيها من نعيم لا يخطر على أنسان , حينها يكون الصبر الذي مضى دهرا لم يكن يوما .

ومن لم يصبر عليها وغرق بها الى أن نسى الخروج منها وغفل عنها ووصل به العمر الى ما وصل و لم يكن من التائبين المستغفرين عن ما مضى من سنين ,جاءت له الحطب والشرار فكانت ضيفا له ولكن ليس من الضيوف المكرمه أنما عليه نار محرقه . عندها يكون الصبر خير من الف عجلة هالكا .

***

(أيهم أهم بالتغير ؟)

من الامور التي نراها دائما في بلادنا أن الناس يحبون استبدال القديم بما هو جديد , فتراهم بين الحين والأخر يبدلون اللا مهم ويتركون ما هو أهم أن يبدل , فتراهم يغيرون أغراض بيوتهم من لوازم ما يطبخ به الطعام وما هو حاجاتهم من أمور الحياة , وأذا بقت عندهم حاجة ذهب ظلها وأسودا لونها سارعوا على أن يغيروها ولو باغلى التكاليف , وتراهم يوميا لا يفارقون السوق مغيرين من ملابسهم ومشترين ما هو لهم جديد , ونسمعهم يقولون دوما على أن التغير للافضل جميل , وهذا موكد ولكن ماذا الحال عن أنفسكم الأسيرة بالنفاق وقلوبكم المقيدة بسلسل الشهوات , لماذا لم تغيروها الى الافضل وتستبدلوها بالأيمان وتكونوا صائبين في محبة ما هو صواب وتغيروا حالكم الى أفضل حال ؟

***

(الدراسة)

من الامور المخفية عن الناس , أن أغلب المدارس ظاهرها للتعليم وباطنها صد عن الدين , فبها يتعلم أطفال المسلمين وشبابهم , محبة القومية وأنها أهم من الدين , وبها يضيع الولاء والبراء فلا يبقى في قلوبهم بغض للشرك وحبا للتوحيد وغيرة عليه , وعند الدوام في الصباح حتى صلاة الظهر , لا ترى المدراء يحثون الطلاب على القيام للصلاة وإذا رأوهم قاموا انزعجوا بحجة انه دار للتعليم وليس للدين! بل حتى الكثير ممن يدرسون في هذه الاماكن عندما يسمعون بان الدوام ظهرا يبدأ حين وقت الصلاة يتركونها ويذهبون مسرعين الى المدارس وتمضي ٤ ساعات وهم بلا صلاة ولا حتى يعترضون على الاوقات , ولكن لو كان الأمر يخص صعوبة الامتحانات او فرض الحجاب لرأيتهم يخرجون متظاهرين وبالأعلام هم ظاهرين ؟!

ودائما الوزارة المختصة بالتعليم وموظفيها , ياخذون أيات القران الحكيم وكلام الرسول الأمين , التي لها علاقة بالتعليم لينشروها أمام الناس على ضرورة التعليم , ثم عند رغبة الطلاب فيهم ومجيئهم اليهم يسرقون منهم دينهم تحى مسمى مواد هم يكتبوها بأيديهم ليخرجوا جيل كما هم أرادو لا كما الدين طلب ,

لهذا نحن نمر بازمان يخرج لنا أجيال لا يعرفون ما الأيمان ولا ذكر الرحمن وأتخذوا من الدين أمر أخير لا يطلبونه الأ من بعد أن يبقى من أعمارهم شيء قليل او يتوفون وهم ليسوا به عارفين !، فكيف بالأسلام العظيم الذي ارتضاه رب العالمين أن يكون أخر الطلبات بينما دراسة الدنيا تكون من المتطلبات ! .

ومن يقول بان المدارس التي نراها الأن تربي الأجيال وتبنيها وبدونها كيف نبنيها , فنقول له هل تعلم بان غالبيتها تحتاج بان تبنى بالدين حتى تعرف كيف تربي من هم لها طالبين , والدليل عند دخول الطلاب اليها الذين لم يعرفوا باب للاخلاق الطيبة وعند خروجهم منها عند المساء يبقوا بلا باب !, وهل يعلم بان الفتيات التي يخرجن من بيوتهن كاسيات عاريات ويذهبن الى المدارس وعند العودة يرجعن متبرجات ولا شيء قد غير ! وهل يعلمون من ينطقون بلا حكمة , بان الطلاب أناث كانوا أم رجال الذين سمعوا الاغاني وتعلموا الكذب والنميمة وما هو مذموم عند دخولهم الى المدارس وخروجهم منها , خرجت أجسادهم وعقولهم أسيرة كما كانت من قبل في السجون ! .

والأنسان عادة لا يريد أن يذهب الى مكان ويرجع خالي الوفاض
فكما الفلاح حينما يأتمن مزرعته عند عامليه , يريد منهم أن
يزرعون لا أن يفسدون , وكما من أراد أن يعمر بيته ياتي بمن هم
الأختصاص ليودوا ما هو واجبهم , فكيف الحال لو زعم أولئك
أمامه بانه بني البيت وعند مجيء مالكه وجده مهدم كما كان او
أسوء من قبل !، فكيف الحال ، أيضا من كانت له سيارة عطله
يذهب بها الى التصليح , لترجع تعمل من جديد , فكيف الحال أن
عاد ورائها خراب ؟! ,

وهذا لا يختلف تماما عن حال المدارس , فان الاهل يأتمنون أبنائهم
فيها ثم يذهبون جاهدين ويعودون فقط بشهادة المعلمين
والمدرسين, أما أن يكونوا مستقبل زأهر في البلاد فهذا محال
لانهم لم يكن لهم يوما دينا ولا أخلاق ,

والزرع يحتاج الى أرض خالية من الداء , ولا تكون المدينة زأهرة طيبا إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر , والعبادات فكيف الحال أن كان البستان مليئا بالداء . والطالب ومدرسه يحتاجون الى دواء , ولا بلدا يعمر بلا دين , ولا دنيا بلا دين , ولا أخلاق بلا دين , ولا حياة بلا دين , وبئس الدراسة التي تصد عن الدين , ولا أعمارا إلا بالمتدينين ولا قلوب مصلحة إلا بالدين ولا يهدم البلاد إلا المزيفين من اهل الفساد ممن دينهم دنياهم , وهمهم شهواتهم .

(فرصة العمر)

أن الحياة فرص كما يقول الناس , ولكنها مختلفة الأمور , ويوجد من الفرص التي من الضروريات السعي لها , مثل الذي قرر السفر الى احد البلدان الجبلية في طقس لا يخلوا من المخاطر وعند منتصف الطريق أنحرفت السيارة عن المسير , ولكن كان رأكبها يقظا في الحال فتدارك الأمور فكانت له فرصة بالنجاة , (والأمر كله بيد الله) , ولو ضربنا مثلا أخر أن من الشباب الذين رحلوا الى السباحة في أحد الأماكن , فمزح أحد الأصدقاء مع غيره فرمى بصاحبه في الماء وذاك فقد التوازن فكان يلتقط الهواء وهو مع الغرق ثواني عده , فقفز الخبراء ليخرجوا الغريق , فنجأ وكان له فرصة ثانية في الحياة ,

وأيضا مثلا أخر لو كانت عائلة راحلة بسيارتها الى مكان , واثناء القيادة السريعة كانوا على موعدا مع حادث مرعبا , و لم يروا أنفسهم إلا في المستشفيات ولكن كانت لهم فرصة في الحياة ,
وأيضا من دخل مدينة الظلام كانت له فرصة بالخروج منها بسلام,
ولكن من دخل القبور زأئرا فليس له أي فرصة أخرى إلا ما عمل وفرصته الحساب أما جنة أو عذاب , فمن كان الأن يلتقط الأنفاس فعليه أن يغير حاله من حال الى حال ويستغل الفرصة التي لا فرصة بعدها ولا ندم يعيدها , فمن كان على النفاق عليه أن يسارع في الأيمان ومن كان على السيئات عليه أن يسارع في الحسنات ,
فالرجل الذي يفعل الكبائر له فرصة بالتوبة قبل الممات والمراة التي من المتبرجات لها فرصة بأن تلبس الحجاب ,   فالأن هو وقت المناسب وأن العمر يمضي مسرعا والثواني سنين , فمن لم يستغل الفرصة الأن فلا يبكي بعد الأن ,

وأن الناس نراهم يستغلون الفرص عند أول مجيئها لهم , ويسعون لها جاهدين يبذلون لها ومن اجلها يتعبون ولكن الغريب أن فرصهم تبدأ في دنياهم وتنتهي عند وفاتهم ؟! وهذا من الجنون أن الأنسان يجهد من اجل شيء لا به نفع له إلا قليل , بينما من كثر الحسنات و لم يفوت منها واحدة وكان يسارع في الخيرات مسارعة الرجال فهذه أفضل فرصة ,كان له ثواب في الدنيا والحساب ومن أستغلها فهو من الملوك , ولو أن الإنسان جمع مالأ منذ الصغر لكان الأن غني عند الكبر , فكيف الحال بمن كان من الذاكرين لله ﷻ , منذ الهداية الى الوفاة , واي فرصة عظيمة تلك وهو أستغل تلك الساعات الطوال بتجارة لن تبور , أما من أتخذا الشهوات فرصه في الحياة فان تجارته لن تدوم ,

(النفس والطعام)

لا شك أن الطعام لذة الأنسان , فكيف الحال بمن فقد الشهية، رغم كثرة الاطعمة والشراب , فنحن في زمان كثير من الناس يعانون من ضغوط الحياة وعند حضور الطعام وبعض الاشربة نفسهم لاتريده رغم جوعها وعطشها , وهذا يعود الى سبب ما وكل شيء له حلول , فهم يظنون بان تغير الأماكن والخروج من المنازل حل مناسب لتعود أنفسهم تشتهي ما تريد , وهذا ليس حلا جذريا بل موقتا , والواقع بانهم لا يحبون أن يرون بيتهم ينقص من حاجة إلا وجاؤوا بها ولا أبنائهم يريدون شيئا إلا وكانوا من الملبين لمطالبهم ولكن أنفسهم تريد أن ترجع لحالها وتسد نقصها وتعود الى الحياة ولا حياة إلا بذكر الله , فبالذكر تعود الأنس للأنفس ويسد نقصها في البيت وخارجه ,

ومن ذاق الطعام والشراب معها ذاق طعما لم يذوقه الملايين , وبالذكر تعود الأجساد الى قوتها وبالذكر يرى صحة في الاجساد لم يراها عنده طول السنين , ونحن لا نقول أمور في الخيال أنما الذاكر كان بحضرة الملك العلام , فهو سبحانه من خلق الشهية بالأنسان وخلق السعادة والأحزان , فكلما كنت مع الله طوال الوقت كنت من الأحياء وكلما غفلت سنين كنت من الأموات الذي حياتهم لا حياة , ولو كثروا الأموال على طول حبات الرمال , وبنوا بيوتهم فوق الجبال ونوافذ غرفهم مطلة على البحار والمنظر الغلاب وكل يوم هم على وجبة مختلفة من الطعام وأنواع من الشراب فكل ذلك بدون النُّور سراب .

***

(المطر والنار)

في هذا الزمان حينما تهطل الأمطار , فتملأ الأنهار وتغرق المدن بالفيضان نرى الكثير من الملأ وليس القليل من المنزل لا يخرجون بسبب الطين والخوف من الكهرباء من أن تقتل صغارهم بصواعقها والبعض رجالا ام نساء اذ خرجوا من البيوت بسبب الظروف وما يحتاجون تراهم يمشون بكل هدوء , ويبعدون أنفسهم عن الماء خوفا على أنفسهم بان تطين , ولكن هولاء يرون النار وحرها ويعرفون خطرها ومنها يحذرون ومنها لا يبعدون بالحسنات , فقط بالأجساد ويقتربون منها بالسيئات , ويظنون أن أبتعدوا عنها مسافة نجوا منها!!

***

(من هم اللصوص)

أن اللص دائما فار وهو ملاحقا من كل الديار , لانه يتسلل الى الاسواق او المحلات فيسرق ما تعب به الأخرين , وأيضا الى البيوت ويتربص بالمارين لياخذ منهم بكل ما هم له مالكين بدون أن يشعر به أحد بعد الحين , وأن شعروا عليه يركضون ليعيدوا منه ما سرق , ويرموه في غيابة السجون , وأن الكثير من المسروقين يرون بعين وأحدة إلا وهي عين الدنيا أن سرق احد منهم شيئا, منه غضبوا وبدوأ بالبكاء والندم ويسعون جاهدين على أن يجدوا اللصوص ولو هربوا الى مكان مريب وغير معروف , وهذا شيء طبيعي أن يسعى الإنسان لارجاع ما سرق منه بالقوة او باي طريقة كانت , المهم عنده أن يعود له الحق

ولكن الغريب أن اللصوص الذين لبسوا الجديد وركبوا ما هو حديث غير ملاحقين بكل حين , رغم انهم يسرقون المعروف بالبلاد ليخفوه ويامرون بالمنكر ليعلنوه , وكل هذا ولا أحد إلا القليل يقول لهولاء أنتم سارقين لما هو ينبت الأرض بالخضار , ولا منهم يغضبون , ولهم يمدحون بان هولاء أغنياء ومثقفين ! وإذا رأوهم في الشوارع خجلوا منهم وطاروا برويتهم فرحين , ولا احد الأ القليل يقول لهم أنتم شرار القوم , وتنشرون المنكر في البلاد لتسرقوا الأيمان من قلوب العباد , وتدخلوا في قلوبهم أفة النفاق

***

(السم)

أن الناس كثيرا منهم في بلادنا عندهم أن يدخل الأكل اللا نقي خير لهم من يدخل في بطونهم السموم , فاذا سمعوا باسم السم أصابهم الخوف , وإذا رأوه أمامهم قد منه يفرون خوفا على حياتهم من الأنتهاء , وهذا شيء قد يكون جيدا لان الحرص مهم في الحياة والأهمال لا يجوز , ولكن هولاء ليس لديهم أشكال في التلفاز وما يرى من التواصل الأجتماعي وعند خروجهم الى الطرقات وهي مليئة بسموم تفسد عقيدة الأنسان وتجعله ينسى الدين من أجل الملذات , فلماذا لا يفرون من كل ما هو منكر وحرام بينما يفرون من السم الذي يقتل الأنسان فيموت على كل حال , أما ذاك فيفسد له أهم ما له , فيميت قلبه ويرهق جسده فيبقى معلقا كالطير المسجون .

***

(الأزمات)

من الغريب عند سماعنا بانه يوجد غلق للمحلات والأسواق , نرى الناس في بلادنا يسارعون بالخروج من المنازل قبل أيام من الأزمة الى حيث ذكرنا حتى يشترون من السوق كل ما يلزمهم ليتم تخزينه ليوم الحاجة , ويكون هذا اليوم مكتظ بالأعداد وتراهم يتراكضون والشوارع تزدحم بشكل غريب , وكانما حرب ستقام ولا يوجد بعده طعام وشراب , وبعد عودتهم من حيث ذهبوا يطمئنون باهم أخذوا بالاحتياطات وأن بطوهم لن تخلوا من الأكل والشراب في ساعات الجفاف , والأغرب أن هولاء كثير منهم يسمعون بالموت من قبل عشرات السنين ويرون غيرهم بالقبور يدفنون ورغم ذلك لا تراهم يجهزون أنفسهم لهذا اليوم العصيب ولا يجمعوا الحسنات في كل هذه الفترات الطوال , وترى منهم السيئات !

قال ﷻ

فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾) المعارج


الله أكبر


محمد
صلى الله عليه وسلم

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

20 شوال ١٤٤٦ هجري